مقدّمة

علم السيمياء : من الثقافة إلى الملاعب

غسّان مراد

العلامات موجودة في كلّ مكان، والمعاني تأتي منها، وكلّ ما يقوم به الإنسان في حياته هو إنتاج وتفسير علامات، حتى الإنسان بحدّ ذاته هو علامة من علامات الطبيعة... وإذا ما اعتبرنا أنّنا حاليًا في هذا العالم المعاصر المتخبّط بين ثورة الرقمنة وثورة الذكاء الإصطناعيّ المستجدّة داخل هذا التحوّل الرقميّ، فإنّ الرموز والعلامات باتت تؤدي دورًا حيويًا في تفسير المعلومات في مختلف المجالات وفهمها مهما كانت طبيعتها، وقد ابتدع المفكّرون لتحليل هذه الظواهر علم السيمياء، أو علم العلامات.

من التدهور البيئيّ وتصميم الخرائط ودراسة البيئة إلى تحليل الخطاب الثقافيّ والقصصيّ، ومن الفلسفة وعلم النفس إلى الدين والسينما، نجد أنّ علم السيمياء هو المساهم الأساسي في توضيح المعاني وتعزيز التواصل.

في هذا العدد السابع عشر من مجلة الدراسات والأبحاث في العلوم الإنسانيّة، للسيمياء كعلم الحصة الأكبر تصريحًا وليس تلميحًا. العلاقة بين الفلسفة والسيمياء قديمة العهد، فالمفاهيم والمصطلحات هي التي تعزّز فهمنا للّغات عبر الفلسفة اللّغوية وهي دراسة تحدّد كيفيّة استخدام العلامات والرموز في التواصل وتحدّد المبادئ المنطقيّة التي تعتبر من أُسس الفلسفة فهمًا وتفسيرًا.

ولناحية الديانات لعلم السيمياء الدور الفاعل، من خلاله نستكشف كيفيّة استخدام الرموز والعلامات في الطقوس والممارسات الدينيّة للتعبير عن المفاهيم الروحيّة. أيضًا في البيانات كافّة، تُعد الرموز وسيلة للتعبير عن المفاهيم الروحيّة. توما الأكويني مثلًا، تناول موضوع العلامات والرموز في كتاباته، مؤكدًا

دورها في توصيل الحقائق الإيمانيّة وتعميق الفهم الروحي. أما من الناحية الأنثروبولوجيّة، فإن السيمياء هي تؤطّر دراسة الثقافات المختلفة كذلك كيفيّة استخدامها للعلامات والرموز.

بالإضافة إلى ذلك، للسيمياء علاقة جوهريّة، تتمثّل بعلم الدلالة لتحليل الإنتاج الثقافيّ والقصصيّ، كمعالجة التمثّلات الثقافيّة من خلال ملاحظة المشاعر والإنفعالات وكلّ ما ينتج عنها من أهواء تؤثّر في نموّ الشّخصيّات من جهة، ولتحليل أي خطاب من جهّة ثانية. وهذا ينطبق على الخطاب الرياضيّ أو الخطاب السينمائيّ من جهة ثالثة، حيث فهم الرموز والإستعارات والإشارات اللّغويّة واللّفظيّة، الجسديّة وغير الجسديّة، وكيف يكون للآداب والسياسة والثقافة دور في تصميم شعارات معيّنة، وكيف تعكس هذه الشعارات والرموز الهويّة الوطنيّة والثقافيّة في المجتمع الذي تمثّله. فللرموز والشعارات معانٍ تعبّر عن هويّة الفريق وتاريخه، وهذا يرتدّ بتأثير السياسة والثقافة على تصميم شعارات الأندية.

يقوم علم النفس كذلك على ملاحظة الشخصيّات والعلامات الناتجة عن تصرّفاتهم لفهم حالة معيّنة، وبناءً عليه يحاولون تحديد المشكلة. فالسيمياء تستفيد من علم النفس لفهم كيفيّة تفسير الأفراد للعلامات والرموز بناءً على تجاربهم الشخصية.

أما جغرافيًا، فعلم السيمياء يسهم في تصميم كلّ ما له علاقة بالطبيعة وعلاقة البشر بها وما تحتويه من كوارث وبحار وأنهار، من خلال استخدام الرموز الطبوغرافيّة، الألوان، الرموز الثقافيّة، وملاحظة التدهورات التي تنتج عن الكوارث وعن الانسان. تُستخدم الرموز لتمثيل البيانات البيئيّة مثل مناطق الحماية، الأنواع المهدّدة بالإنقراض ومصادر التلوث. وهذه الرموز تساعد في فهم التوزيع البيئيّ واتخاذ القرارات البيئيّة.

في هذا العدد عناوين متعدّدة تتطابق مع رؤية السيمياء لتفسير الظواهر مهما كان مجالها.

فالعنوان الأوّل: "المصطلح الفلسفيّ بين التقعيد اللّغويّ والاقتضاء الدلاليّ" – علي زيعور أنموذجًا. يستعرض البحث رؤية علي زيعور لاجتراح مصطلحات فلسفيّة جديدة في ثلاثة فصول. أتى الفصل الأوّل تحت عنوان: "الفضاء العامّ لمنظومة علي زيعور اللفظية"، والفصل الثاني حمل عنوان: "الشكل الهندسيّ الصرفيّ

لمفردات علي زيعور"، وعُنون الفصل الثالث ب: "المحتوى الدلاليّ للمصطلحات المجترحة عند علي زيعور".

أما العنوان الثاني فهو عن مدفن البطاركة الموارنة الجماعي في وادي قاديشا (1445–1845): قصة تطويب البطريرك إسطفان الدويهي (1630–1704) من منظور علم الآثار والأنثروبولوجيا الطبيّة–الشرعيّة وعلم الوراثة. والعنوان الثالث هو "سيميائيّة الأهواء وتمثّلاتها الثّقافيّة في بيت على الحافّة" لمهى جرجور. تعالج فيه الدّراسة الأهواء وتمثّلاتها الثقافيّة في المجموعة القصصيّة "بيت على الحافّة" للكاتبة مهى جرجور انطلاقًا من سيميائيّة الأهواء منهجًا لدراسة المشاعر والإنفعالات وكلّ ما ينتج عنها من أهواء عربيّة أثّرت في نموّ الشخصيّات، فاهتمّت بالبُعد الهوويّ والجانب الداخليّ للذوات من خلال البحث عن المعنى داخل الخطاب في المجموعة القصصيّة "بيت على الحافّة" وكشف دلالاته الهوويّة، وقد تطرّقت الدراسة إلى نقدٍ ثقافيّ للخطاب يكشف العيوب الثقافيّة النسقيّة العربية المضمرة في الخطاب السرديّ.

أما العنوان الرابع فهو عن ازدواجيّة الخطاب الرياضيّ وتأثيره الاجتماعيّ في لغة المعلّقين؛ أنموذجات: من الدوريّ ال16 إلى المباراة النهائيّة من كأس العالم 2022.

العنوان الخامس عن تأثير المشاكل الإنفعاليّة عن مخاطر السُمنة لدى الأطفال: دراسة معمّقة تهدف إلى استكشاف الإرتباط بين المشاكل الإنفعالية وخطر البدانة لدى الأطفال غير المرغوب فيهم، بالمقارنة مع الأطفال المرغوب فيهم. وللغاية تمّ استخدام المزيج من الأساليب الوصفيّة والترابطيّة، مع عيّنة تتكوّن من عشرة أطفال بدينين تتراوح أعمارهم بين ستّ واثني عشر عامًا.

والعنوان السادس عن التدهور البيئيّ الطبيعيّ في منطقة وادي فعرة في البقاع الشمالي. ويعرض هذا البحث مشكلة التدهور البيئيّ في منطقة وادي فعرة الواقعة على الطرف الشرقيّ لسلسلة جبال لبنان الغربيّة في ظلّ جبل المكمل (3087 م) حيث يسيطر المُناخ القاريّ الجاف الذي يمتاز بشدة التقلّبات المطريّة

والهطولات الفجائيّة، وكميات متساقطات تصل في أعالي وادي فعرة، ما يُسهم في حصول تدهور بيئيّ طبيعيّ يؤثر في سلامة المواطنين.

أخيرًا وضمن قراءة في كتاب، العنوان الأخير عن لغة الفيلم: "سيميائيّة السينما" لكريستيان ميتز، يتناول فيه مفهوم السيميائيّة وتطبيقاتها في دراسة السينما.

هذا ما سنتطرق إليه في هذا العدد.